تدوين الحديث النبوي الشريف

والتي أولاها المسلمون [1][2]من قول أو فعل أو تقرير، **تدوين الحديث** هو أعمال تدوين وتسجيل ما ورد عن النبي محمد مرت عملية تدوين الحديث بمراحل عدة بدأت فعليًا [3].اهتمامًا بالغًا كونها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي مع القرن الثاني للهجرة حيث بدأت الخطوات الأولى لتدوين الحديث بكتابته بعد أن كان مقصورًا على المشافهة. تطوّر الأمر مع مرور الوقت، وانتقل من مرحلة الجمع البحت إلى مرحلة التصنيف والترتيب تارة بحسب المواضيع الفقهية وأخرى بترتيب الأحاديث بحسب الراوي وإن اختلفت موضوعاتها. ثم مع مرور الزمان، تشعّبت أنواع كتب الحديث بين .موطآت ومصنفات ومسانيد وسنن وجوامع ومستدركات ومستخرجات

إلى مرحلة أخرى وهي توقفت عملية التدوين الفعلي للحديث بحلول القرن الخامس الهجري، ثم انتقل علماء الحديث النبوي .مرحلة نقد الحديث من حيث السند والمتن ليؤسّسوا بذلك علم مصطلح الحديث

أهمية التدوين

فكثير من .للسُنّة النبوية عند المسلمين أهميتها لدورها التوضيحي أو التقييدي أو التخصيصي لبعض النصوص القرآنية كما [1]، فجاء قول النبي محمد أو عمله ليبيّنها أو يقيّدها أو يخصّصها[3]أو عامة [2]أو مُطلقة [1]آيات القرآن وردت مُجملة إِنْ هُوَ إِلَّا ﴿٣﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾كان لتصرفات النبي محمد فيما لم ينزل فيه قرآنًا المرجع للمشرعين، لقوله تعالى مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ ﴾وقوله ﴿١﴾ وَحْيٌ يُوحَى السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ ﴾الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [1]، لذا استوجب ذلك العناية بجمع الحديث وتدوينه

في عهده إلا أن عدم تدوين الحديث النبوي [4]في البداية، لم يُدوّن الحديث على عهد النبي محمد الذي نهى عن تدوينه، الأول، والاكتفاء بالاعتماد على الذاكرة، فتح الباب أمام بعض الوضّاعين الذين استباحوا وضع أحاديث ونسبتها كذبًا إلى لم يُدوّن سوى سبعة آلاف حديث في صحيحه حتى بلغت مبلغًا عظيمًا، وعجّت بها الآفاق حتى أن البخاري [5]النبي محمد، في كتابه فجر وقد رأى أحمد أمين [6].منها ثلاثة آلاف مكررة من جملة ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره ، ثم الأمويينوالشيعة أن الخصومات السياسية بين السُنّة في كتابه شرح نهج البلاغة برأي ابن أبي الحديد الإسلام بين المذاهب الدينية في العصور الأولى للإسلام، كانت سببًا في وضع والفقهية ، إضافة إلى الخلافات الكلاميةوالعباسيين لم [7].الأحاديث التي هدف واضعوها إلى تغليب فئة على أخرى، مستغلين التوجُّه السائد حينئذ بتفضيل عدم تدوين الحديث لا » :عن النبي محمد قوله يُدوّن الحديث على عهد النبي محمد، بل ونهى النبي عن تدوينه، فقد روى أبو سعيد الخدري [4].«تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج. ومن كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار عن خطبة النبي محمد عام فتح إلا أن هناك بعض الحالات التي أذن النبي محمد فيها بتدوين أحاديث كحديث أبي هريرة من النبي محمد أن يكتب له بقتيل منهم قتلوه، حيث طلب رجل من أهل اليمن رجلاً من بني ليث حين قتلت خزاعة مكة وقد رأى بعض العلماء أن النهي عن الكتابة كان وقت نزول القرآن، خشية التباس [8].الخطبة، فأمر النبي محمد بكتابتها له وسمرة بن [11]وأنس بن مالك [10]كما أذن النبي محمد لبعض أصحابه كعبد الله بن عمرو بن العاص [9].القرآن بالحديث [13].وأبى أن يأذن لبعضهم كأبي سعيد الخدري [12]جندب

الذي كان يدور على الصحابة مبكرًا إلى تدوين الحديث وجمعه بعد وفاة النبي محمد كابن عباس وقد عمد بعض الصحابة أن يكتب الحديث، بل وأراد عمر بن الخطاب [14].ليسألهم، ويكتب ما يحدثونه به من أحاديث سمعوها من النبي محمد لم يمض [15].فاستشار الصحابة في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، إلا أنه تراجع خشية أن يُكبّ الناس عليه، ويتركوا القرآن بجمع الحديث وكتابته، وكذلك اهتم الخلفاء والأمراء الأمويون على المستوى الكثير من الوقت حتى اعتنى التابعون بجمع وابن شهاب الزهري [17]فأمروا بعض علماء المسلمين مثل أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [16]الرسمي بجمعه، [18].الحديث

والبحث في عني التابعون وتابعيهم بتنقية الحديث مما أصابه من وضع الوضّاعين عن طريق العناية بحفظه وتتبُّع الأسانيد فاستدعى ذلك منهم أن يلتمسوا [20]،(4)ثم أخذوا يشرِّحون الرجال، فيُجرِّحون بعضًا، ويُعدِّلون بعضًا [19]أحوال الرجال، [21].الأحاديث وأسانيدها مهما كلّفهم ذلك من رحلات شاقة وطويلة

التصنيف والترتيب

بدأت محاولات جمع وترتيب الحديث في منتصف القرن الثاني الهجري على يد الربيع بن صبيح ثم سعيد بن أبي في في الشام، وسفيان الثوري في المدينة، والأوزاعي في موطأه في مكة، ومالك تلاها ما جمعه ابن جريج [22]عروبة، بما تيسّر لهم من [24]في مصر والليث بن سعد في اليمن ومعمر بن راشد الصنعاني [23]في البصرة الكوفة، وحماد بن سلمة وضمّوا إليها بعض أقوال [25]أحاديث. وقد صنّف هؤلاء ما جمعوه ورتّبوه وبوّبوه بحسب الأبواب والمواضيع الفقهية، [26][27].الصحابة وفتاوى التابعين

[29]انتقل تدوين الحديث إلى طور آخر أكثر تطوّرًا، وازدهر التدوين بازدهار تأليف الكتب في عصر هارون الرشيد، (10)والجوامع (9)والأجزاء (8)والسنن (7)والمسانيد (6)والمصنفات (5)وتشعّب وتنوّع، فظهرت منه الموطآت
وبلغ التدوين عصره الذهبي بحلول القرن الثالث الهجري الذي ظهر فيه كتب [24] (12).والمستخرجات (11)والمستدركات وابن وإسحاق بن راهويه كابن حنبل الصحاح، وانتشر فيه الكثير من علماء وحُفّاظ الحديث الذين أسّسوا لعلوم الحديث وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وأبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي ومسلم والبخاري ويحيى بن معين المديني [30].وعثمان بن سعيد الدارمي

التدقيق والتمحيص

استمرت عملية جمع وتدوين الحديث وتصنيفه وترتيبه حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ثم انتقل إلى مرحلة أخرى وهي شرحًا وانتخابًا، لما جمعه الأولون من ، ونقد رجاله تجريحًا وتعديلاً، وتناول المتنوتضعيفًا تصحيحًا «مرحلة «نقد الحديث للمتن فجمعوا شتات الأقوال النقدية حول الحديث المروي عند الأولين من تعليل [31]مؤلفات في القرون الخمسة الأولى، التي رتّبوا فنتج عن ذلك أن أكثروا من كتب مصطلح الحديث [32].للسند وانقطاع وإرسال وتجريح وتعديل للرواة ووصل [33].فيها الحديث وهذّبوه وتناولوه بالشروحات